
30
جوهرة
مغامرات مؤمن
العروق الذهبية
دار الدعوة

جوهرة العروق الذهبية

الكهف فى سكون رهيب .. لو لا ...
وقع أقدام مؤمن على الحصى .. و فجاة
توقف تماماً و المشعل فى يده .. و أرهف
سمعه .. و أخذ ينصت لصوت مخيف
((ياإلهى .. أرجو ألا يكون هذا الصوت
هو ....))
لم يكد يرى إلا الظلام أمامه
تقدم خطوتين .. و فجأة ارتفع صوت
شخللة حادة وسريعة :
هى ... !! إنها هى .. !! الحية))
ذات الأجراس .. أللهم احفظنا يا رب))

دار الدعوة
للطبع و النشر و التوزيع

٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية
تليفاكس / 3901914 - 3907998



- سلسلة مليئة بالإثارة والتشويق
- أغـــرب الرحـــلات والمفارقـــات
- تجمـع بين المتعـة والمعـرفـة
- لاغنى عنها في الرحلات والبيت والمواصلات

سلسلة

مغامرات عجيبة جداً..

30

جوهرة

العروق الذهبية

الطبعة الأولى
١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠م

رقم الإيداع القانونى:
٢٨٠٠/ ٢٠٠٠
الترقيم الدولى : 4 -253-253-977

تحذير
جوز تحويل هذه المغامرات إلى عمل سينمائى أو تليفزيونى أو إذاعى
أو مسرحى أو شرائط فيديو إلا بالاتفاق والتعاقد مع الناشر .

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع
المركز الرئيسى : ٢ ش منشا ـ محرم بك ـ الاسكندرية
☎ ٤٩٠١٩١٤ ـ ٤٩٠٧٩٩٨ ـ فاكس ٥٩٥١٦٩٥

جوهرة

العروق الذهبية

تأليف / علاء الدين طعيمة
رسوم / يسري حسن



بسم الله الرحمن الرحيم

« مغامرات عجيبة جداً »

قمة الفرح أن يعثر الإنسان على تاج أثرى عتيق خال من الجواهر ولكن تكون هى قمة الإثارة والمتعة عندما تتابع وتقرأ مغامرات ذلك البطل وهو يسعى للعثور على جواهر هذا التاج ، إنه يسافر فى رحلات عجيبة عبر البحار والأنهار فيتعرض للأخطار والأهوال ويرى نماذجاً غريبة من البشر وعجائب الأرض والسماء من الإنس والجن والأحياء والأموات وفى كل مغامرة بعد العناء والصراع مع المكان والزمان يفلح فى إضافة جوهرة جديدة إلى التاج .

علاء الدين طعيمة

الذهب يعتبر من أنفس المعادن على الإطلاق .. ويرجع ذلك إلى أنه معدن نقى تماما .. لا يصيبه ما يصيب المعادن الأخرى بالصدأ أو التفاعل مع الهواء وتبقى جودته كما هى على مر الزمن .. لذا فإن سعره هو أعلى الأسعار .. ويمكن لمن يملك قطعة منه أن يبيعها بمبلغ كبير .. ومما زاد من قيمة الذهب هو حب النساء له .. فهن يلبسن فى أعناقهن وأذرعتهن وأقدامهن وأصابعهن .. الحلى المصنوعة من الذهب .. ولأن تهدى الأنثى بحلية من الذهب أطيب عندها من أى شئ آخر .. لهذا .. احتل الذهب القمة وأصبح مطلوبا فى كل مكان من الدنيا .. له صناع يصنعونه .. وتجار يجلبونه ومنقبون يبحثون عنه فى

بطون الجبال وعند مصبات الأنهار ويبذلون فى ذلك الجهد والمال .. ويبدو أن صاحبنا مؤمن سيتعرض فى مغامرة العروق الذهبية إلى ما يربطه بالذهب .. فهل يا ترى سيكون سعيدا بهذه المغامرة أم سيجد مشقة ومعاناة من أجل الحصول على الذهب .. هذا ما سنعرفه من خلال قراءة متأنية لمغامرة عجيبة من مغامراته .. فماذا حدث له بالضبط ؟ .

كان مؤمن يجوب البلاد والأمصارو ركب البحر وعبر من قارة إلى أخرى .. حتى وصل إلى استراليا .. وكانت حينئذ قارة مقفرة لا يسكنها إلا القليل من البشر لكن مع ذلك فخيراتها لم تخفى على كثير آخرين .

كانت تضاريس الأرض تعجب مؤمن .. فهى قارة بكر تملأها الغابات والصحارى وتعج أرضـها بأنواع أصيلة من الحيـوانات .. رأى جبـالا شـاهقـة تناطح السحاب ومر بأقدامه على رمال ساخنة لا تثمر إلا بالصبار العملاق الذى يمكنه مقاومة الحر والجفاف والعطش .

واستطاع مؤمن رغم ذلك أن يشعر بالنشاط .. فالجو الجاف النقى أكسب جسمه قوة وحيوية وجعله يشعربرغبة عارمة فى الإنطلاق والحركة .. وهكذا فقد بدأ ينسى فى رحلته هذه أمر الجوهرة لينعم بما صار فيه من نعمة الطبيعة الجميلة .

وإختار مؤمن مكانا جيدا وأقام فيه معسكرا ..

كـان المكان على تل مرتفـع يتـمكن من خـلاله أن يرى الأفق البـعيـد بإتجاهاته الأربـع .. وبسهـمه كـان يصيـد الطيـور ويشـويهـا ويطعم بهـا .. وجلس أيامـا يسـتلذ بذكــر الله تعـالى ويبــدو أن مـؤمن قـد وصل إلى سن استـشـعر فيـها طعم وحـلاوة عبادة الله تعالى .. وأن يزهد فى كل متـاع الدنيـا وينقطع للإسـتـعداد لمتـاع الآخرة .. فوجوده بعيدا عن البـشـر وعن المغامرات وانفـراده فى المكان بالتعـبـد جـعله لا يفكر فى طعام ولا شــراب ويبـدو أن الحــيـاة فى هذا المكان تـروق له كثيرا .

ولكن هل تظل الأيام على وتيـرة واحـدة ؟ .. إن الصباح الجديد الذى أتى عليـه كان يحمل الكثير من

المفاجآت الجديدة .. كانت الشجرات الأربع التى بنى مؤمن حولها خيمته وأحكم تثبيتها تحميه من الوحوش والهواء .. ولكنها بالطبع لا تحميه من إخوانه من الإنس .. ففى هذا الصباح قام ـ بعد أن قطع جزءاً من الوقت فى الذكر والصلاة ـ يخرج من الخيمة ينظر من أعلى إلى الكون ويسبح ربه .. فلفت نظره غبار كثيف على مسافة بعيدة ما يفتأ يقترب ويقترب .. ودقق مؤمن النظر فإذا أربعة جياد تجرى بسرعة عالية وتدور فى حلقة غير كاملة وهى تثير التراب تحتها ورأى سيدة تصرخ وتستغيث وهى أسيرة على جواد يمسك بها رجل كلما صرخت ضربها .. الثلاثة رجال الآخرين كل منهم يحمل

رجلا مقيدا وفى الحال ثارت عند مؤمن نخوة الشهامة والمروءة .. فدخل الخيمة وأحضر القوس ثم قذف سهما أطاح بقبعة الرجل الذى يقيد السيدة .. فتوقف الركب فى الحال ينظرون من أين أتى السهم.. فلما شاهدوا مؤمن .. ترجل الرجال الأربعة عن جيادهم .. وهم يحملون سيوفا وأقواسا.. فلما تقدموا منه شهر سهما آخر فى وجوههم:

- إياكم أن تتقدموا خطوة أخرى وإلا ...

كان الأربعة من المهارة فى القتال وفى مواجهة هذه المواقف بما يكفل لهم الإنتصار والتفوق على مؤمن.. فلقد كانوا على أول التل وهو فى أعلاه .. فجأة

تفرقوا كأنهم أورق وردة نشرتها الريح .. فلما احتار مؤمن في أي اتجاه يصوب قوسه .. كان واحد منهم أسرع منه في اتخاذ القرار فقد بادر مؤمن بضربة خنجر اخترقت سرواله ورشق الخنجر في جذع الشجرة .. وانطلق سهم من رجل آخر فدلف في ملابس مؤمن تحت إبطه دون أن يصيبه .. فألصقه بالشجرة .. وقبل أن يحاول التخلص منها كانوا قد تكتلوا عليه فقيدوه .. ثم سلبوا منه كل أسلحته ومتاعه وأضرموا النار بخيمته ثم حملوه على الجياد معهم وانطلقوا به مع بقية الأسرى .

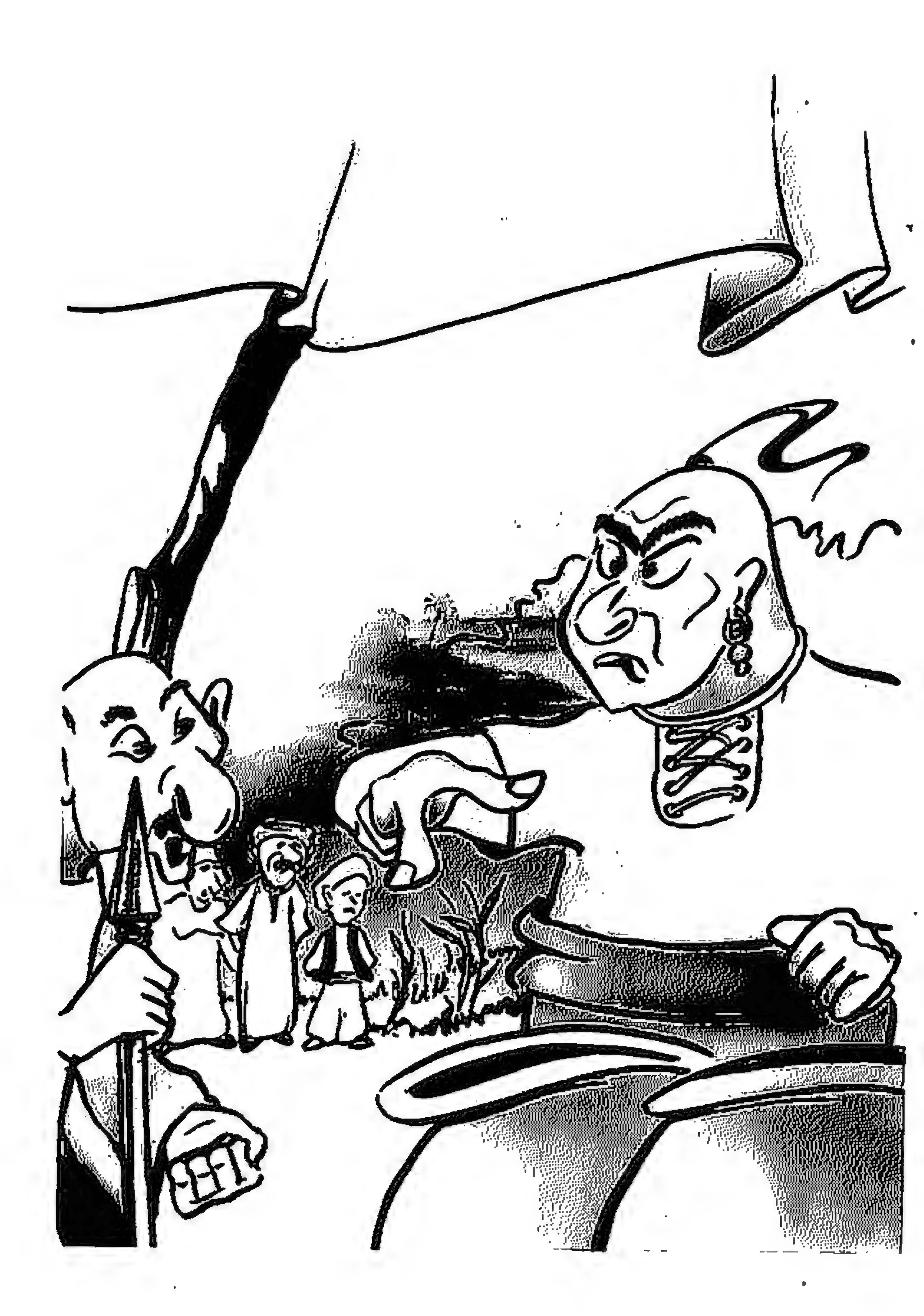
ومر وقت طويل وهم يقطعون الجبال من ممرات يعرفونها جيدا .. وقاسى مؤمن كما قاسى بقية

الأســـرى .. وإن كـــان يأمـل أن يواجـــه الموقف بـكل شـجاعـة فـهـو يشـفـق على زمـلاء الأسـر .. فـإنطلاق الجـيـاد .. لا يـسـمـح لأحد بـأن يسأل أو يـسـتـفـسـر عن أى شئ .

واقـتـرب الركـب من سـهـل فـسـيـح يـتـوسـطه كـوخ كـبـير بنى من أخـشـاب الأشـجـار .. ولما وصلوا خـرج رجل قـاسى الملامح .. وهـو مـثل زمـلائه .. لفـحت الشـمس وجوههـم .. فخشى مؤمن أن تـكون قلوبهم شاكلتـهـم وهيئـتـهم .. ولم تمض دقيـقة حتى عرف أن الرجل هو الرئيس المسيطر على بقية العصابة :

ـ أهذا كل ما تحصلتم عليه .

ـ ماذا يا ريس .. ذهبنا فى أربعة فأتينا بخمسة .



ـ لا عليكم . . استـريحوا الآن وضعوا هؤلاء فى مكان آمن .

ترجل الأسـرى أمـام أحـد أفـراد العـصـابة وهو يسـوقهم حتى وضعهـم بجانب الكوخ ثم حذرهم من مـحـاولة الهـرب . . لأن ذلك لا يعنى إلا الموت . . وعندما ظنوا أنه ذهب داخل الكوخ رأوه يرجع مرة ثانية وفى يده كلب أسود عملاق . . أوقفه أمامهم حارسا عليهم ثم ذهب أدراجه .

وجلس الأسرى ينظرون لمؤمن وهو ينظر إليهم . . فلما رآهم لا ينظر بعضهم إلى البعض عرف أنهم من مكان واحد . . وأنهم تعارفوا من قبل :

ـ من أنت أيها الغلام ؟

- بل من أنتم ؟
- نحن أسرة واحدة . . هذه زوجتى وهذان هما ولدينا .
- شئ عــجـيب أن يكون الأولاد قــريبــوا السن إلى والديهما .
- لا يهم ذلك . . فمن أنت إذن .
- انا مؤمن . . من مصر فى أفريقيا .
- مصر ؟ . . مرحى بك . . مرحى بأهل البلد الطيب .

لما رحب الرجل بمؤمن جعله يطمئن لهم .

- من أين أنتم .
- نحن من سوريا . . من أهل الشام .
- مـرحى بالإخـوة . . مـرحى . . مـرحى . . مـرحى . . ولكن ما الذى أتى بكم إلى هذه القارة .

ـ هو نفس الشئ الذى أتى بك يا مؤمن .

ـ ولكنى أتيت من أجل جوهرة .. جوهرة واحدة .

أخذ ينظر بعضهم إلى بعض .. ثم قالت الزوجة الأم :

ـ جوهرة ؟ .. أى جوهرة .

ـ لا يهم أن أقص حكايتها الآن ونحن فى هذا الأسر .. ولكن فيما يبدوا أنكم هنا من زمن قديم فهل تخبرونى ما معنى ما نحن فيه الآن .

ـ اسمع يا مؤمن .. نحن من أكبر تجار الذهب فى الشام .. وخلاصة القول أننا هنا من أجل الذهب .. فعندما نجلبه بأنفسنا من الأرض والجبال .. يكون ربحنا أضعاف ما كنا نربحه من قبل .. وهذا العمل يا مؤمن لا يصلح أن نستخدم عمالا يعملون فيه ..

لأن من يعثر لنا على ذهب لن يسلمه لنا وسيعتبره حقا له .

ـ لذلك أتت الأسرة كلها من أجل الذهب ؟..

ـ جميل طيب .

ـ نحن هنا فيما يقارب الشهرين لم نحصل فيهما على ما يرضى غرورنا وطموحنا .. ولكن الأمل مازال متقدا لدينا .

ـ وهل عثرتم على أى ذهب ؟

ـ نعم .. كما أخبرتك .. ولكن ليس الذى نبحث عنه فى الحقيقة .

ـ وهؤلاء الرجال القساة الطبع .. وكلبهم هذا .. لماذا أسرونا .

ـ انصت واسمعني جيدا .. فأنا لا أريد أن يسمعنا أحد هنا .. هذا الرجل يبحث عن الذهب مثلنا .. لكنه لو عرف أننا نسعى وراء ذات الهدف لقتلنا .. إنه لا يعرف إلا أننا رعاة أغنام .

ـ ولكني لاأرى هنا معدات حفر وأوانى ومطارق .. فأين تخبئون معداتكم .

ـ ليس لدينا معدات كثيرة يا مؤمن .. بل معنا أشياء أخرى .. لن نستطيع أن نشرح لك أى شئ الآن .. يجب أن نهرب من هنا ..ساد صمت ثقيل والكل يفكر فيما ينبغي عمله.. ولكن مؤمن سأل مرة ثانية :

ـ لماذا إذن قام بأسركم وأسرى ؟

قـال بسـام وهو أحـد الولـدين .. وكـان شـابا له شارب مـثل أبيه وأخيه الثـاني .. كـعادة أهـل الشـام ملفوف ومبروم يزيد الوجه مهابة ووقارا :

ـ المسـألة لا تحـتـاج إلى فـهم يا مـؤمن .. هم يريدون عمالا لإستخراج الذهب .. وها قد عثروا عليهم .

ـ يا إلهى .

ولم يكد يكمل مؤمن عبارته .. فقد خرج الرجال الأربع يحـملون سلاحـهم كالعادة ويبدوا أنـهم اتفقوا على أمر فـيمـا بينهم .. ووقف رئيسـهم بعيـدا قليـلا بينما اقتربوا الأربعة وشهروا الأسلحة في وجه مؤمن وأصحابه .. ومن مكانه تلا القائد خطبته :

ـ انظروا يا رعـاة الغنم إلى هذه الأنصـال الموجهـة إلى

صـدوركم بوسعها أن تريكـم أمعاءكم حـالا وفى أى وقت أريده أنا .. أنا فقط .. ولتعـرفوا جيـدا أنكم هنا أجـراء .. ستـعملون بشرف وكرامة وفى حـرية ولكـم أجـر على عـملكم .. لا تحـسـبـوا أنكم مسخرون في العمل .. لا .. أنا لا أحب الظلم .

وعندما قال آخر كلمة صرخ مؤمن ثائرا :

ـ ما دمت لست ظالما كما تدعى .. فاتركنا وشأننا .. أهذه هي الحرية عندك .. أن نكبل وتشهر السيوف في وجوهنا ؟

ـ اخرس أيها الغلام .. أنت أصغرهم .. وأنت آخر من يتكلم .. ثم إنك لو اعترضت على كلامى مرة ثانية فلسـوف تجـد منى مـا لا يرضـيك أبدا .. والآن ..

اعلموا أن جزاء التفكير فى الهرب هو الموت ولكن صرحاء .. نحن نملك الجياد التى تتبع الهارب أينما ذهب .. وهذا الكلب سيأتى به لو عاد إلى بطن أمه وهذه السيوف ستنفذ الحكم بالإعدام فى التو واللحظة .. فكونوا عقلاء إذن .. ونحن فى عجالة من أمرنا لذا فالعمل سيبدأ من الآن .. هيا أيها الحراس فكوا وثاقهم ثم ضعوهم فى العربة واربطوا الجياد ثم تأهبوا للعمل .

وفى لحظات نفذ أفراد العصابة أوامر رئيسهم. .وبعد قليل كانت عربة خشبية محكمة الأبواب والنوافذ تجرها أربعة من الجياد يقودهم رجل أما الباقى فهم يحرسونها على جيادهم يتقدمهم

رئيسهم:

ـ ترى أين يذهبوا بنا الآن .

قال قطب وهو الأخ الوحيد لبسام:

ـ إلى مـصب النهـر .. هذا أقـصى ما يحـاولون عـمله حتى الآن .

لم يشأ مؤمن أن يلقى مزيداً من الأسئلة عليهم .. لأن لسان حـالهـم يقول: «كل شئ ستعرفه بعد قليل» كانت العربة مظلمة إلا من خيوط الضوء التى تتسلل من بين ألواحـهـا الخشـبيـة .. ودل بطء سرعتـهـا على اقتـراب الوصـول .. وفعلا بعد قليل تـوقفت .. ونزل الرجال عن جيادهم إلا رئيسـهم ثم فتحوا باب العربة فنزل مـؤمن وأصـحـابه ينظرون .. ورأوا على البـعد

نهرا يشق الصحراء وعلى جانبيه نبتت أعشاب كثيفة ورأوا شلالا عظيما يصنع بحيرة يصب فيها النهر لم ير أحد لها أول من آخر .. كما رأوا ما يشبه معسكرا للعمل .. عبارة عن كوخ يقوم على أعمدة بلا جدران .. ويوجد تحته ما يشبه الجسر الخشبى المائل يشير لأسفل فوق صندوق خشبى عليه آنية نحاسية ثقيلة مثقوبة وغير مثقوبة .. ورأوا معاولا ومقاطفا وأجولة وحبال وأشياء تدل على أن هذه ليست إلا ورشة العمل وإن كان مؤمن حتى هذه اللحظة لم يفهم ماذا تعنى هذه الأشياء .. ولكنه بعد ساعة واحدة أصبح يعرف ويعمل بيده فى تشغيل هذا المعمل المخصص لإستخراج الذهب .

ولأنه كان الأصغر حجما فلم يحمله رئيس العصابة إلا ما يناسب قدرته .. وكان على الحاج فتح الله هو وولديه بسام وقطب أن يذهبا إلى منطقة المياه الضحلة والتى ينسكب فيها ماء النهر برفق حاملا معه الطمى الذى هو عبارة عن تربة بركانية تحمل فى قوامها الكثير من الحصى وبعد رواسب من المعادن وأهمها الذهب .. فكانوا يحملون الدلو ويملأونه من هذا الطمى ثم يعودون إلى حيث كان الجسر الخشبى ذو الجانبين .. ثم يسكبون فوقه ما بأيديهم وينحدر الطمى والماء وتقوم الأم بدفع الطمى على الجسر بإناء تسكب منه الماء ويسقط الطمى فى مصفاة كبيرة تحتجز الحصى الكبير ثم فى مصفاة أضيق ثم أضيق

ثم أضيق ويجلس رجال العصابة يفحصون كل ما يتكون من كل مصفاة فى النهاية وكانوا يجلسون فى الظل .. وكان عمل مؤمن هو الذهاب إليهم بالمصفات والعودة لوضعها تحت الجسر .. وهكذا كان عمله يبدوا سهلا وإن كان مرهقا أشد الإرهاق .. ومع ذلك كله فلم يعثروا فى اليوم الأول إلا على تراب الذهب ما لا يزيد عن حفنة يصعب احتوائها بالإبهام والسبابة .. وفرحوا بها جدا .

- عمل جميل اليوم يا رفاق .. أيها الحراس .. أعطوهم أجرتهم .

أخرج رجل منهم كيسا من فوق العربة .. كان به خبزا جافا كالحجر .. وقال لهم:

- إذا بللتم هذا الخبز بالماء فستحصلون على طعاما لذيذا .

كانت هذه هى أجرة العمل طوال النهار .. وبات مؤمن وأصحابه ليلا لم يقدر أحدهم على الوقوف فى حراستهم بل ناموا مكانهم والكلب الشرس مرابضا أمامهم كالهول العظيم وحارس واحد ينام فى العربة ما إن يسمع نباح الكلب حتى يقفز بسيفه لمعاقبة المتمرد .. أما بقية أفراد العصابة فقد عادوا إلى مركزهم حيث الكوخ الدافئ والطعام والنوم المريح .

وأتى الصباح وهم على النوم فقام الحارس ينهرهم .. وقام بدفع مؤمن ورفاقه إلى عمل شاق .. وحضر بعد ساعة بقية العصابة يجلسون فى الظل ..

وتكرر عمل الأمس وظلوا هكذا طوال النهار .. ولم يحصلوا على ما يزيد عن حصيلة الأمس .. إلا أن العمال المسخرون لديهم كادوا ينهارون من الإعياء ولكن السوط الجلدى المصنوع من ذنب البقرة يقف لهم بالمرصاد .. وناموا ليلتهم يصدرون شخيرا مزعجا فى حراسة الكلب .. وفى اليوم الثالث تكرر الأمر كما هو .. وسقطت الأم مغشيا عليها وأحس رئيس العصابة بحرج موقفه .. وأنه سوف يعرض نفسه لخسارة كبيرة إذا تمردوا عليه .. فقرر إعطاؤهم أجازة نصف يومية على أن يعود العمل فى الصباح التالى .

وتنفسوا الصعداء وذهب الحارس الذى عليه الدور

يفر من القيظ إلى العربة وجلسوا فى راحة بينما كان الكلب متيقظا وإن لم يقم من مكانه فى الظل .. فهو ينام بعين ويبصر بالأخرى .. وهذا ما منح المجموعة المقهورة مزيدا من الحرية .. وعلى الفور قاموا بإسعاف الأم المريضة حتى أفاقت وتناولوا الخبز .. وأخذ مؤمن ينادى على الحارس حتى نظر إليه من باب العربة :

ـ ماذا تريد .. ماذا تريد ؟

ـ سيدى .. استأذنك أن أذهب إلى الغابة القريبة .. سأحضر بعض الفاكهة .. هكذا فنحن لن نقدر على العمل .

ـ مرفوض .



ـ سيدى .. ابقى ناظرا إلىّ .. لا يوجد بعد الغابة إلا الشلال .. أين يمكننى أن أذهب ؟

نظر الحارس إلى بقية المجموعة فرأى مدى ما وصلوا إليه من حال رث وسحنة مريضة وجوع مدمر .

ـ إذن فلتذهب .. وليكن فى علمك أى محاولة ..

ـ أعرف .. أعرف .. الكلب سيحضرنى ولو كنت فى بطن أمى .. شكرا لك .

أحس الرفاق ببعض الراحة لما ذهب مؤمن وأملوا أن يأتيهم بطعام جديد غير الخبز الجاف الذى سئموه.

أخذ الحارس يراقب مؤمن وهو يتوغل فى غابة على شرم يتوغل فى النهر ورأى مؤمن الأشجار الخام.. وأخذ يقطف منها الفواكه ويضع ما يجمعه

في جوال بيديه .. كما رأى طائرا ، فتربص له ثم قذفه بحجر فأرداه وقفز يمسك به قبل أن يعاود الطيران مرة أخرى .. ولما وصل إلى موضع الطائر .. كان على حافة الشرم تقريبا فرأى الشلال الرهيب لأول مرة .. إنه يهوى في سرعة وقوة إلى عمق شديد الغور وهو على إرتفاع شاهق جدا عن مسقط الماء .. وكان الشلال كأنه بيضة عملاقة يتماوج سطحها طولا بزبدٍ هادئ .. ثم في القاع عن سطح البحيرة السفلية يلتقي مع سابقه في ثورة عناق لا تهدأ .. فكأن الماء يغلي من حرقة اللقاء .. كان الشلال والغابة فوقه كأنها نقطة سوداء على سطح البيضة العملاقة ومؤمن لا يعدو إلا رأس دبوس فوقها .. كاد

النظر أن يسلبه عقله من سحره وفي نفس الوقت خاف أن يسقط فيذوب في هذا الخضم الهائل من اللجة الثائرة، فتراجع يجر الجوال وأحكم القبضة على الطائر حتى لا يفر .. ثم عاد وعين الحارس لم تغفل عنه .. فلما وصل خرج الحارس من العربة ثم انقض عليه وأخذ نصف ما أحضره .. ولما أراد أن يأخذ الطائر استعطفه مؤمن أنه للسيدة المريضة .. فرضي الحارس على مضضٍ .. وعاد مؤمن لأصحابه الذين فرحوا بالطائر والفاكهة وعلى الفور تناولوا منها حتى قرت أعينهم وبطونهم ثم ذبحوا الطائر وأخذوا في شيه على النار :

ـ مؤمن .. مالي أراك هكذا .. هل أنت جوعان ؟

ـ لا يا سيدي .. أنا أفكر في الهرب .

ـ كيف ؟!

ـ أفكِّر يا سيدي .. لم أصل إلى طريقة بعد .. آه لو كان لدينا سُمّاً ..

ـ سُمٌّ ؟!!

ـ نعم .. كنا وضعناه للكلب وفررنا من هنا أثناء نوم الحارس .

ـ فكرة طيبة ،لكن لا يوجد سم هنا ... ثم إنه كلب رهيب .. أنا لم أر مثله قبل ذلك والله إني لأخشى أنيابه هذه .. بل ونظراته العدوانية .

ـ سيدي .. ماذا لو هربت وحدي وحاولت أن أجد وسيلة لإنقاذكم ..؟!!

ـ تهرب ؟.. كيف تهرب يا مؤمن ؟

ـ ليس هناك سوى الشلال ...

ـ مـاذا تقـول ؟.. الشـلال ؟.. هـل جننت ياولدي.. اسـمعي يازوجتي .. اسمعا يا ولدَيَّ .. مؤمن يريد أن يهرب عن طريق الشلال .

قالت الأم :

ـ لا يا ولدي إنه شــلال مــخــيف .. ثم إذا وصلت البحيرة سالماً .. فأين تذهب ؟

ـ هناك مجرى مائي على شكل نهر صغير يتفرع من البحيرة سأسلكه .

قال قطب :

ـ يا مؤمن .. كن عاقلاً .. سيتبعك الكلب .

- لن أمكنه مني إن شاء الله ..

أبدى الجميع معارضة لرأي مؤمن .. ولكنه لم يعد يستمرئ الذل والأسر وبطبيعته فهو يفضل الموت حراً على العيش ذلاً .. ولم تمضى ساعة حتى نظر الحارس من النافذة وكان مؤمن ورفاقه قد أكلوا الطائر :

- أنتم أيها الجوعى المحرومين .. ألا من قطعة طائر ؟

فرد عليه الحاج فتح الله :

- معذرة يا سيدي لقد أكلناه كله ..

ولكن مؤمن هرع إلى الحارس عندما أدرك أن فرصته قد أتت :

- سيدي .. إن الغابة تعج بالطيور من هذا النوع .. ألا

ترى أنني أمسكت به بسهولة ؟ ما رأيك؟ ..
سأذهب وأحضر لك اثنين بدلاً من واحد ..
وسأنظفها وأشويها لك .. لقد صنعت فينا معروفاً
ويجب أن نرده لك ..

نظر الحارس في ريبة إلى مؤمن فجعله يكاد يتصبب عرقاً ولكنه وبإبتسامة عريضة قال له :

ـ آه منك أيها الطفل البائس .. تريد أن تظل في ذهاب وإياب من الغابة .. ماذا لو لم تنجح في صيد الطائر ؟

ـ إذن اذبحني واشويني أنا على النار يا سيدي ...

ضحك الحارس وأشار له بالذهاب فألقى مؤمن نظرة وداع على رفاقه فهموها ولم يستطع أيٍّ منهم

أن يمنعه .. وذهب مؤمن يجري وقطع الغابة الصغيرة ورآه الحارس وهو يذهب ويقف على حافة الشلال .. فأخذ يصيح به أن يعود .. ولكن مؤمن رسخ مكانه.. أخذ ينظر من الارتفاع الشاهق كأنه يراقب نقطة ماء سيسلك رحلتها بنفسه وهي تغيب في سقوطها وتستغرق وقتاً طويلاً إلى أن تذوب في سطح البحيرة.

خرج الحارس من العربة وحمل السهم والسيف والقوس وتبعه الكلب .. فلما رآه مؤمن وهو يقدم نحوه مسرعاً .. استجمع قوته وشجاعته ثم ألقى بنفسه على البساط الأبيض الشلالي .. الذي حمله بقوته كأنه ينزلق على الماء .. كان مؤمن يهبط

بسرعة رهيبة كان يختفي تارة في الشلال ويظهر تارة.. تارة تراه مـــعـــتـــدلاً وتارة تراه قلوباً وتارة يتقلب.. ولقد وصل الحارس إلى قمة الشلال ولم يكن مؤمن قد سقط بعد ورآه وهو يغوص في ماء البحيرة فحار فيما يفعله ثم أشار للكلب أن يتبعه .. ولقد غاص مؤمن إلى عمقٍ كبير في البحيرة ثم أعاده ضغط القاع إلى السطح فخرج يتنفس الهواء ويحمد الله تعالى على النجاة وشرع يسبح إلى الرافد الذي قصده من قبل .. أما الكلب فقد دار دورة كبيرة يجرى بأقصى سرعة فلم يجد وسيلة للوصول إلى البحيرة فعاد يجري نحو الشلال وقذف بنفسه من نفس المكان الذي قفز منه مؤمن وبعد قليل كان

يسـبح خلف مـؤمن في البـحـيـرة . . ومن بعـيـد وقف الحاج فتح الله وأسرته يرقبون مـؤمن ويدعون الله أن ينجيه من الكلب . . كان مؤمن يـسبح بهـدوء وكأنه يستمتع بالعوم . . في حين كان الكلب يسبح بسرعة عالية . . ووصل مؤمن إلى الرافد الذي يخترق منطقة مسـتنقـعات طينيـة ثم ألقى نفسـه على طين رطب يرتاح . . فلما اقترب الكلب ووضع رجليه على التل الطيني ألقى مؤمن بنفسه في الماء وأخذ يعبر سابحاً إلى الناحية الأخرى من النهر والكلب يعوم ويلهث وراءه . . فلمـا وصل مـؤمن وارتاح قليـلاً . . وصل الكلب وصعد على الطين فألقى مؤمن نفسـه مرة أخرى في الماء وسـبح بهـدوء شـديد وأخـذ الكلب

يلهث وهو يتبعه سباحة .. ويبدو أنها كانت هي خطة مؤمن .. لقد علم أن سرعة الإنسان في السباحة أكبر بكثير من سرعة الكلب .. لهذا كان الماء مسرح مطاردة آمنة بالنسبة له أكثر من اليابسة التي يتفوق الكلب فوقها على البشر في السرعة والافتراس .

ووصل الكلب إلى مؤمن الذي ألقى بنفسه مرة أخرى إلى الماء وعبر النهر إلى الناحية الأخرى فوقف الكلب مكانه ولم يستطع متابعة المطاردة وأخذ مؤمن يستريح قليلاً وهو ينظر للكلب في حذر وقلق .. ثم قام يسير بمحاذاة النهر والكلب يمشي على الجهة الأخرى .

لم يشأ مؤمن أن يبتعد عن الماء ليتوغل في المستنقعات لأن ذلك يعني أن الكلب سيعبر الماء ثم يهرع وراءه .. وهكذا ظل يسير بمحاذاة النهر وكلما عبر الكلب إليه عبر هو إلى الجهة الأخرى وكان ينظر إلى أعواد الغاب الجافة الصلبة ويحلم لو يجد خنجراً فيصنع حربة يقضي بها على هذا الكلب .. ولكن فجأة لاحت له فكرة رائعة .. تقدم من عود غاب شديد وبذل جهداً في انتزاعه من الأرض ثم حاول أن يكسره فلم ينكسر فتهادت له فكرة أن يثبت طرف العود الطويل في الأرض ثم يتعلق بالطرف الثاني ويثنيه تحت ثقل جسمه .. فلما فعل ذلك انكسر العود إلى قطعتين .. كل منها أحد من

الآخر .. وابتسم وهو ينظر للكلب ثم نزل إلى الماء مقابله فنزل الكلب إليه .. وكان مؤمن يخفي العود تحت الماء فلما اقترب الكلب .. ركّز مؤمن بصره نحو فمه فلما فتح الكلب فمه اندفع العود الغاب يطعن الحلق بطعنة قوية أخذ الكلب يصارع ولكن مؤمن كان آخذاً في دفع العود الحاد حتى خارت قوى الكلب تماماً وغاص شيئاً فشيئاً في القاع .. حمد مؤمن ربه وعاد يخرج على شاطئ النهر يلهث وقد أضناه التعب ولا يدري أهو النوم الذي سلبه قوته أم أغشي عليه .

ومن جهة أخرى فقد أصابت الحيرة والعجز الحارس .. أيبحث عن مؤمن فيترك الفرصة لأسرة



فتح الله للهرب ؟ أم يبقى بجانبهم معرضاً نفسه للعقاب من رئيس العصابة..؟ كيف إذاً يخبر العصابة؟.. وكان قراره الذي اهتدى له أن يضع الأسرة التعسة في العربة ثم يعود بهم إلى رئيس العصابة يخبره بما جرى .

وبعد قليل كانت العربة تندفع في سرعة جنونية نحو كوخ العصابة .. وكانت الأسرة الحبيسة تعاني من الرجرجة الشديدة من جراء السرعة على طرق غير ممهدة :

ـ ما العمل يا أبي .

ـ اترك الأمر لله .. ليس بأيدينا أي شيء كما ترى.

وبعد ساعة وصلوا .. وخرج أفراد العصابة

ليستطلعوا الأمر .. فلما رأوا العربة هرعوا فأخبروا رئيسهم الذي ثار ثورة عارمة وانهال ضرباً على الحارس وأوسعه شتائماً قذرة .. وأمر حارساً آخر بالذهاب والعودة معهم إلى معملهم بجانب مصب النهر وأخبر فتح الله أنه سيبحث عن مؤمن وسيجده ويعذبه عذاباً شديداً .

أما مؤمن فقد نجا من الكلب المتوحش وأخذ يسير مع النهر الضيق عسى أن يصل إلى شيء قبل حلول الظلام .. كان منهكاً متعباً رث الثياب ملطخاً بالوحل كان يصارع الوقت فالمكان موحش بشكل يخيف ... حاول أن يصل إلى ما يهدي قلبه ويهدئ من روعه .. وبين الفينة والفينة ينظر خلفه خشية أن

يستيقظ الكلب مرة أخرى ويهرع في أثره .

ولاح له من على البعد جبلاً يسد الأفق .. فبش لذلك .. إذ أنه يعتبر الجبال مكاناً آمناً عن الأرض الخلاء .. أخذ يجد السير ويقترب من الجبل واضطره ذلك إلى ترك النهر تماماً والاتجاه في اليابسة نحو الجبل .. كان الغروب يسقط على الأرض كالستار ومؤمن يدنو من الجبل حتى وصل إليه والظلام معاً :

« يا إلهي .. ماذا يمكنني عمله الآن؟ لا طعام ولا شراب ولا غطاء .. حتى السيف والقوس .. عدت مرة أخرى لحال الإنسان البدائي .. يا رب .. يا مفرج الكروب .. يا رازق النحلة والطير والبشر ارزقني الأمن والأمان والطعام والدفء » .

تكوَّم مؤمن مكانه وقد اشتدبه التعب وأحس أن مفاصله لا تقوى على حركة إضافية.. فقدماه لا تقدران على حمله وذراعاه لا يقويان على رفع حجرة من الأرض.. لم يكن حتى اللسان قادراً على الكلام.. أما القلب فلا يهدأ عن الدعاء والتضرع إلى الله بكل ثقة أن ينجيه من هوام الأرض حتى الصباح.. ولقد تعلم من قبل أنه إذا أراد حماية منها ومن غيرها.. تلا دعاء محفوظاً وهو « أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق » وألقى الجفن نفسه على عينيه فنام نوماً عميقاً.. لم يشعر إلا بالشمس تلسع وجنتيه.. فقام ينفض عن نفسه الوحل الذي جف على جلده والثياب. وكان النهار مبصراً فتحرَّك في

المكان بنشاط لم يلبث أن تخبو جزوته إذ لم يجد الطعام والشراب.. نظر من مكانه إلى النهر البعيد.. فكَّر أن يذهب مرة ثانية إليه عسى أن يجد في الماء سمكاً أو على البر عشباً يتبلغ به، ولكن استبعد المشوار.. أخذ يسير بجانب الجبل وهو يذكر الله ويدعوه بالنجاة.. ولم تمض ساعة إلا وغزالة برية.. تسير هادئة، فلما رآها صاحبنا سال لعابه وتكلمت معدته.. فحبس أنفاسه خشية أن يزعجها فتفر إلى غير رجعة.. أخذ يتراجع بهدوء شديد حتى ألصق ظهره بجسم الجبل ثم أقعس جالساً وعيناه لا تدعان الفريسة.. وظل على ذلك وأصابعه تتحسس الأرض.. فلما أمسك بزلطة شديدة .. وتكورت

عليها أصابعه .. قام يقفز كالسهم يقذف بها الغزالة في مهارة الجائع الفريد فأصابتها في رأسها .. فاختل توازنها وترنحت .. فكان أسرع إليها من محاولة فرارها .. فألقى نفسه على أرجلها فسحبها بشدة فوقعت أرضاً فركز عليها ثم خلع حزامه وقيدها فلم تستطع حركة ولا نهوضاً ..

وخشى أن تموت قبل أن يذبحها .. فوقف حائراً .. ماذا يفعل .. أخذ يجري وينظر لأعلى على جسم الجبل .. يرجو شيئاً لم يحدده .. شيئاً يدله على حلٍ .. ولمح فتحة ما تشبه مدخل كهفٍ .. الرغبة في الحل وحب الاستطلاع دفعاه لتسلق الجبل والوصول إلى هذه الفتحة .. ووقف أمامها لا يكاد يصدق

نفسه.. إنها أسلحة ومعدات حفر ومشاعل مُعَدَّة بمهارة .. أمسك مؤمن بالسلاح والمشاعل ونظر من مكانه للسماء وحمد الله فلم يصدق أنه استجاب دعوته بهذه السرعة.. وعاد يستطلع المكان.. مدخل الكهف الضيق يمتد إلى مسافة لا يعلم مداها.. رغبة الطعام تغلَّبت على الفضول فحمل سيفاً نحاسياً لا معاً كان في جراب متين.. وجرى يهبط الجبل ثم توجه إلى الغزالة .. فكبر الله ثم سمى بسم الله الرحمن الرحيم ثم أحسن الذبح وأخذ يسلخ الجلد عن اللحم وقطع الأجزاء المفيدة والمغذية وأخذ يحمل منها ويجلبها إلى كهفه الأمين.. ولم يشأ أن يتوغَّل.. بل جلس في نور الشمس يشعل الحطب

ويشوي قطع اللحم ويأكل.. ولكنه بعدما انتهى من الأكل.. ارتاح ليهضمه.. ثم قام يريد التوغل في عمق الكهف ليرى إلى ماذا ينتهي.. حمل المشعل وتقدم... دهليز طويل ينحني انحناءات خفيفة لكنه يستقيم على كل حال.. وفجأة وجد أمامه هيكلاً عظمياً يعترض طريقه.. فاستعاذ بالله وسحب العظم جانباً.. ثم تقدم.. وبعد فترة سير في بطن الجبل وجد واحداً آخر .. فتعجَّب وأزاحه جانباً .. وأدرك أن هذا الدهليز كان سبباً في موت شخصين حتى الآن.. ترى .. عم كانا يبحثان هنا؟.. وكيف وافتهما المنية في وقت واحد؟.. ولولا أنه أحكم إغلاق مدخل الكهف.. عندما سد الفتحة بجلد

الغـزالة.. مـا جـرأ على التـقـدم للداخل كل هذه المسـافة.. لأن الوحوش قد تجذبها رائحة دم الغزالة فيهاجمون الكهف .

ومنذ تلك اللحظة أخذ مؤمن جانب الحذر بأقصى ما يستطيع .. فلقد أبطأ من حركته وأرهف سمعه وحدّ بصره .. وتحسس كل خطوة قبل أن يخطوها .. وتقدم شيئاً فشيئاً .. الكهف في سكون رهيب .. لولا وقع أقدامه على الحصى .. وفجأة توقف تماماً والمشعل في يده .. وأرهف سمعه .. وأخذ ينصت لصوت كان لا يتمنى أن يسمعه :

ـ « يا إلهي .. أرجو ألا يكون هذا الصوت هو .. ستكون مشكلة كبيرة »

لم يكد يرى إلا الظلام أمامه .. تقدم خطوتين .. وفجأة ارتفع صوت شخللة حادة وسريعة :

-« هي .. إنها هي .. الحية ذات الأجراس .. أللهم احفظنا يا رب » .

وتراجع مؤمن للخلف قليلاً وأخرج مشعلاً آخر من حزمة المشاعل التي أخذها معه من قبل وأشعله ثم رشقه في جانب الكهف وتراجع مرة ثانية ورشق واحداً آخر على الجهة الأخرى وظل على هذا الحال حتى أضاء جزءاً كبيراً من الممر .. ووقف يحكم رباط حذاءه ثم شهر سيفه ووقف منتصباً يستعد لمقابلة الحية السامة .

لم تمض دقائق والصوت يقترب في نبرة مفزعة ..

إنها صاحبة المكان .. أتت لتدافع عنه على طريقتها الخاصة .. رأى مؤمن أمامه حية رقطاء كبيرة إلى حدٍ لم يكن يتصوره .. أصابه الفزع من أول وهلة .. وتراجع قليلاً للخلف .. ولكنه لم يتوقع منها السرعة في الهجوم .. فبينما كان يتراجع إذ بالحية تنتفض وتتحرك بسرعة رهيبة نحوه ورقبتها المفلطحة منتصبة .. ولم يتمكن حيال هذه المبادرة الفجائية أن يحفظ اتزانه .. بل سقط على ظهره ووقع السيف من يده وأصبحت الحية فوق رأسه تماماً .

وفي ذات الوقت عند البحيرة الكبيرة حيث يصب النهر .. كان الحاج فتح الله وأسرته يعانون من مشقة العمل .. لم يقدر أي منهم على التمرد مثلما



فعل مؤمن .. فلابد إذا حاول أحدهم الهرب أن يأخذ الباقي معه أو يعرضهم للتعذيب .. فكانوا ينتظرون على أمل أن يعود مؤمن بالفرج .

أما هو فكان في هذا الوقت بالذات يحدق في الحية ذات الأجراس .. كانت منتصبة فوقه وهو ملقى على ظهره .. من الذي يبدأ الهجوم .

الآن الأسرع يكسب .. فهل كان مؤمن أسرع من الثعبان .. لقد تدرَّب من قبل .. وواجه ثعابين كثيرة .. ولكن أقل حظاً الآن .. أي خلل في السرعة المطلوبة لا يعني إلا عضة قاتلة تودي بحياته في الحال .. يجب التركيز العميق وتخيل الحركة واتجاهها قبل الشروع فيها .. الأفعى متصلبة متحفزة .. بدأ مؤمن

الآن في تنفيذ عمليته الخطرة .. كان يعلم أن الأفعى ستهاجم أول جزء سوف يتحرك منه .. عندئذٍ حرَّك رجله في اتجاهها ثم أعادها بسرعة عالية .. فمدَّت عنقها ناحيتها فما كان منه إلا أن قبض بيده القريبة على رأسها وأطبق السبابة والإبهام على فمها .. وأدى ذلك في سرعة يُحسد عليها .. التفَّت الحية على ذراعه تحاول أن تستخدم قوتها العضلية لكن ما كان يهمه إلا فمها .. قام إلي السيف ثم وضع رأسها على الأرض وقطعه بحد السيف .. ثم ارتمى على الأرض يتنفس الصعداء لا يقول سوى الحمد لله .. الحمد لله .

أغمض مؤمن عينيه برهة وهو يلهث .. ثم بعد أن

تماثل للشفاء من صدمة الموقف العصيب .. فتح عينيه وأخذ يفكر فيما يجب عليه عمله .. وبينما هو كذلك .. كان هناك على الجدار شيء يلمع في الضوء .. تقدم منه ومد أصابعه إليه .. كان جزءاً ضئيلاً لا يتعدى حبة الترمس .. أخذ يزيل التراب عنها .. ولحس إصبعه بلسانه ثم نظفه .. أمسك المشعل وقربه .. لم يشأ أن يخدعه الظن .. ظل ناظراً إليه وهو يتجه نحو السيف .. أخذ السيف دون أن يحول نظره عن الجزء اللامع في الجدار حتى لا يغيب عنه أو يضل عن بصره .. وعاد يستخدم نصل السيف في الحفر حوله .. وبعد قليل من الجهد صاح وهلل وكبر ..

« الله أكبـر .. الله أكبـر .. عروق الذهـب .. عروق الذهب .. الله أكبر .. الله أكبر » .

أخـذ يقـفـز ويرقص . ثم أعـمل نصـل السـيف في الجدار ويكشف لنفسـه عروق الذهب الممتدة بطول الممر .. وهو لا يكاد يصدق نفسـه .. وبعد أن أضناه التعب وشعـر بالعطش الشـديد وجفـاف حلقـه .. مع حرارة المكان وقلة الهواء .. فقرر التراجع .

ثم قطع المشـوار عـائداً في هـرولة فلـمـا وصـل إلى فتحة المدخل ونظر أسفل الجبل كاد يصاب بالفزع .. إذ أن قـبيـلة من الضـبـاع تحوم تحت الجبـل .. ما جذبهـا إلا رائحة الدم .. نظر إلى النهـر حيث الماء الذي يروي عطشه وقرز أن يزيل الخطر السفلي .. فسحب القوس

ووضع جعبة السهام بجانبه ثم أخذ يصيد الضباع واحداً تلو الآخر.. حتى فر الباقين بحياتهم.. ولم ينتظر.. بل نزل موجهاً رجليه نحو النهر.. حاملاً معه قربة خالية.. وكاد أن يصاب بالإعياء من قلة الماء في جسده ولكنه تحامل حتى وصل إلى شاطئ النهر ألقى بنفسه في الماء الصافي وشرب واغتسل وتمتع بالماء ماشاء له وطاب .. ثم ملأ القربة وحملها على ظهره وسار في الشمس الحامية عائداً إلى موقع الكنز العظيم حتى جفَّت عليه ملابسه وهو في الطريق .

وبعد مضي ثلاثة أيام .. كان مؤمن قد أفلح في إقامة معسكر متين على حافة الكهف واستراح وأمَّن المكان تماماً .. بل وأخذ يفكر في تهريب الحاج فتح الله

وأسرته من أسر عصابة الذهب .

كان يستلزم للعودة إلى موقعهم جواداً لكنه لا يملكه .. كما أن المنطقة فيما يبدو خالية تماماً من الجياد البرية .. وهداه قراره النهائي أن يذهب سيراً على الأقدام .. فأحضر كمية من الحجارة وجعل يسد بها فتحة الكهف حتى بدت كأنها لم تكن .

وحمل متاعه وأسلحته ثم توجه شطر البحيرة مرة أخرى .. وبعد مرور عده ساعات .. شاهد البحيرة على مد البصر .. اقترب واقترب وهو يرى الشلال ولا يتخيل كيف أقدم مرة على السقوط فيه .. ولمح الغابة التي ألقى بنفسه من فوقها .. وكان يستلزم الوصول إليها مسيرة ساعة على الأقل وهي المسافة

التي قطعها الكلب من قبل دوراناً حول البحيرة حتى يلاقيه في الماء ..

كان الغروب على وشك النهاية مفسحاً للظلام السماء كلها .. فاختار مؤمن طريقاً مختلفاً للوصول إلى هدفه قبل حلول الظلام .

سبح مؤمن في البحيرة حتى وصل إلى مقربة من جانب الشلال .. وأخرج حبله الطويل ذي الخطاف وطوح الخطاف ثم قذفه لأعلى .. وأخذ يتسلق الحبل حتى كاد أن يقطع مسافة طيبة .. فلما وصل لموقع الخطاف خلعه من مكانه ثم طوحه لأعلى مرة تلو المرة فلما تعلق بصخرة أخرى تسلقه .. وظل على الحال حتى وصل إلى قمة الشلال وقد أضناه التعب إلا أن

اقترابه من الهدف أنساه كل شيء .

رأى مؤمن وهو في آخر الغابة الصغيرة أسرة الحاج فـتح الله وهم على وشك الانتـهـاء من عـملهم ورأى مـؤمن رئيس العـصـابة يركب جـواده ومـعه اثـنين من العـصـابة منصـرفين من الموقـع . . بقي اثـنين آخـران للحـراسـة . . ظل مـؤمن مكـانه يراقب مـا يحـدث . . وكـان نظـر رفـاقـه يبـعث على الأسى . . وأحس بندم كـبـيـر أنه لم يأت لنجـدتهم من هـذا العـذاب بمجـرد حصوله على السلاح .

وبمراقبـتـه الـهادئة وجـد حارساً منهـم يتـحدث مع الآخر ثم تـركـه وذهب يدخل العـربة وتأكـد لـه أنهـا بداية نوبة حـراسـة . . فـسـره ذلك . . أن يقاوم واحـداً

بدلاً من اثنين انتظر حتى سحب الحارس مقعده وأعطى ظهره للغابة ثم جلس .. وبعد قليل تقدم مؤمن ورآه الحاج فتح الله وأسرته فأشار لهم مؤمن بالصمت وتجاهل وجوده .. ثم لما أصبح خلف الحارس تماماً سدد نصل سيفه في ظهره :

ـ إياك أن تأتي بأي حركة .

وعلى الفور هرع فتح الله وولداه وقاموا بتكتيف الحارس ونزعوا سيفه وخنجره .. ثم اندفعوا كلهم بالسلاح فاقتحموا العربة وهاجموا الحارس الآخر ثم قيدوه.. وبعدما فرغوا شكر الجميع مؤمن وتعانقوا :

ـ لا شكر إلا لله يا رفاق .. الآن هيا بنا فالليل يسترنا في رحلتنا القادمة .. عندي لكم مفاجأة لم تحلموا

بها .

ـ وما هي ؟

ـ لا .. هكذا لا تكون مفاجأة .. هيا نأخذ العربة ستكون أسرع في الوصول .

ـ وماذا عن الحارسين ؟

ـ من الأفضل تركهما هنا ..

ـ لا .. بل نأخذهما ليعملان عندنا في البحث عن الذهب .. سأعاملهما بأقسى مما عاملونا به .

ـ لا يا قطب .. لا يا أخي .. ما هكذا يكون المسلم أبدا .. يجب عليك إذا قدرت أن تعفو إن الله غفور رحيم .. لقد نجّاك الله وعفا عنك فكن بمن قدرت عليه رحيماً وقابل السيئة بالحسنة .

وقبل أن يكمل مؤمن كلامه سمع بكاء الحارسين :

ـ مـاذا بكمـا .. لا تخافـا .. لن يمسكما أي سـوء .. أنتم أحرار ..

صاح بسام :

ـ مـا الـذي تقـولـه يا مـؤمـن .. هذان يجب أن ينالا عقاباً قاسياً على ما فعلاه في حقنا وأمننا .

ـ يا أخي أكـرمك الله وهـداك .. ألست مـسلمـاً .. ألم تقرأ عن رسولنا الحبيب .. ألم تعرف أن قريشاً بكل كفّارها أذاقوه مر التعذيب والإهانة وحاربوه وقتلوا من أهله ومن المسلمين مـاذا فـعل الرسـول عندمـا مكنه الله منهم وأدخله مكة فاتحاً ؟ .. ألم يكـن قادراً على أن يفـعل مـثلك وينتـقم منهم ويعـذبهم

ويذبحهم؟.. ماذا فعل ؟.. أتعرف ماذا فعل يا بسام وأنت يا قطب .. لقد أصفح عنهم وسامحهم.. قال لهم: ماذا تظنون أنى فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم. قال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء .

نظر بسام وقطب إلى الأرض في خجل وأشار الحاج فتح الله إلى مؤمن أن يرى ما بالحراس وهم يبكون :

ـ ماذا بكما؟ لماذا تبكيان؟.. لولا خوفنا من ضرركما لأطلقنا سراحكم .

ـ لا نحن لا نبكِ من أجل ذلك يا مؤمن يا مؤمن بل نبكي لأننا عذّبناك فرحمتنا .. لأننا أهنّاك فأكرمتنا.. أي دين هذا الذي تدين به حتى

نعتنقه..

ـ الإسلام .. دين الله الواحد الأحد .. قولا «لا إله إلا الله .. محمد رسول الله».. ثم اعملوا بها وطبقوا أوامر الله في رسالة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

صاح الحارسان :

ـ لا إله إلا الله .. محمد رسول الله ـ الحمد لله على نعمة الإسلام .

ولم يدخر مؤمن وسعاً عندما فك وثاقهما وأعطى لكل منهما سلاحاً ثم رمى سلاحه في الأرض يختبرهما .. فألقى كل منهما سلاحه .. وقال واحد فيهما :

ـ لا والله .. ما نرفع يوماً سلاحاً على مؤمنٍ مُسلماٍ مثلنا .

وهنا هتف الجميع بحمد الله وكبروا .. فأشار لهم مؤمن بركوب العربة ثم اندفع يقود الجياد بها إلى حيث كان المنجم الكبير .

ـ مؤمن .. لماذا جئت بنا إلى هنا .. هل هذا الجبل هو المفاجأة ؟

ـ نعم .. هنا .. في هذا الجبل يقع أكبر منجم للذهب .. هنا عروق الذهب .

لم يكد مؤمن يكمل عبارته حتى سمع صوتاً يقول :

ـ شكراً لك أيها الغلام .. شكراً لكم أن سهلتم لنا

البحث عن عروق الذهب .

نظروا كلهم دفعة واحدة .. فإذا بزعيم العصابة ومعه الحارسين الآخرين يصوبون السهام ناحيتهم فوقعت الأم مغشياً عليها وقال زعيم العصابة :

ـ وأنتما أيها الحارسان .. متى تعلمتما الخيانة .. عموماً مصيركم جميعاً سيتحدد بعد أن نتأكَّد من وجود عروق الذهب ..

أمر رئيس العصابة أحد الحارسين بالبقاء وسحب الآخر وتسلق الجبل حيث أشار مؤمن لرفاقه وأزاح الحجارة ووقف يلقي بالأسلحة من علٍ، ثم غاب وحارسه داخل الكهف ولم تمض دقائق حتى توالت صياحاتهما وظن الجميع أن هذه فرحته بالعثور على



عروق الذهب .. لكن الأمر كان خلاف ذلك تماماً .

وفوجيء الجميع بالحارس يلقي بنفسه من أعلى الجبل ليسقط محطماً تماماً وصراخ رئيس العصابة يتوالى ثم ينقطع وكان ذلك كافياً لمؤمن أن يهجم على الحارس وينتزع منه القوس .. وقيدوه على الفور.. وحار الجميع في ما جرى لرئيس العصابة ..

ـ مؤمن .. ماذا حدث ؟..

ـ لا أعرف .. يبدو أن شيئاً مخيفاً يقع الآن بالكهف..

ـ وما العمل ؟

ـ لا أعرف .. ولكن يجب أن نواجه الأمر ..

ـ كيف ؟

ـ فلتبقوا هنا ودعوني أقدم لكم منجم الذهب ..

وبينما كان مؤمن يتسلق الجبل .. تذكر أمر الأفعى .. وأدرك أن هذه الأفعى لم تكن تعيش وحدها في بطن الجبل بل لابد أن يكون لها من ذكر .. زوجها الذي خرج يبحث عنها وينتقم .. ولابد أنه أصاب رئيس العصابة لحظة دخوله .. أخذ مؤمن جانب الحذر الشديد وهو يطل برأسه على الفتحة .. كان السيف في يده مستعداً فلما نظر كان ذراعه أسبق من بصره .. لأن الأفعى الذكر كانت تستعد فعالجها بضربة سيف سريعة قطع عنقها تماماً .. وصعد إلى الكهف ليجد رئيس العصابة في حالة سيئة فأخذ ينادي على الرفاق حتى صعدوا إلى

الكهف :

- ماذا ستفعل يا مؤمن .. ماذا ستفعل ؟.. اتركه يموت ..

- لا يمكن أن تستخدم الرحمة والعفو في الدعوة إلى الله وإلى الإسلام بدلاً من العنف الذي لا يجدي .. ألا من وسيلة أخرى نثبت بها للعالم كله أننا لا نقتل بالسيف وإنما نمد يد العفو والصفح .. نقدم الخير .. هيا .. أشعلوا ناراً وسخنوا فوقها هذا الخنجر ..

أخذ مؤمن يربط رجل رئيس العصابة تخفف من الحمى التي أصابته حتى لا يسرى السم فى سائر جسده ثم أخذ يعمل شرطات بنصل الخنجر ويمتص

السم من رجله ويبصقه على الأرض ، وبعد ذلك أخذ يكوى الجرح بالخنجر الساخن .. فلما تأكد من نجاح مهمته حمد الله كثيراً ثم غطاه بجلد الغزال ، وبعد ذلك بقيت الأم بجوار المريض تمرضه فكانت نظراته تعبر لها عن أسفه الشديد وامتنانه لصنيعها .

ومر يومان للمجموعة فى الكهف .. حتى أنهم اجتازوه كله تقريبا وقاموا بتطهيره تماما من الهوام .. وأقاموا المشاعل على جانب الممر .. وشرعوا يخرجون الذهب بالفعل بتتبع أثر العروق فى الجبل .. ولماأفاق رئيس العصابة تماما :

ـ مؤمن .. أشكرك يا مؤمن .. لقد أنقذت حياتى .. لا أعرف ماذا أقول لك .

- لا تقل شيئا .. هذه أخلاق المسلمين .

- وأنا أشهدك بأننى أحب أن أكون مسلما مثلك .. إن أخلاقكم دعوة وسلوككم هو الذى يجذبنى إليكم .. أعتذر عما بدر منى .

- يا سيدى .. قل لا إله إلا الله محمد رسول الله لتصبح مسلما .. واعلم أن الإسلام يجب ما كان قبله .. ولقد سامحناك كلنا .

أخذ الرجل يبكى .. أما الحاج فتح الله فقد حضر هذا الحوار وشكر مؤمن على كل ما فعله من أجلهم ولكن رئيس العصابة قال :

- الحمد لله .. لقد شفيت .. والآن تسمحون لى بالإنصراف .. ما يكون لى العيش هنا ولكن الحاج

فتح الله ابتسم قائلا :

- لا يا صاحبى .. لقد حضرت إلى هذه البلاد من أجل الذهب .. ولولا سوء معاملتك السابقة لنا لكنا تعاونا سويا .. والآن هذا المنجم يحتاج كثيرا من الجهد .. فما رأيك .. أنتم أربعة ونحن أربعة مانعثر عليه نقسمه مناصفة بيننا بحق الله .

- ومؤمن .. هل نسيته .

ابتسم مؤمن وقال:

- لا يا سيدى .. أنا الذى لم يعد لى مكان هنا .. وماذا أفعل بالذهب .. هه .. ماذا أفعل به وأنا أذهب كل يوم لمكان وارتحل فى الأرض .. أنا لا أبغى من الدنيا إلا رضاء ربى .. فلا أسعى فيها إلا لجواهر التاج.

وقف رئيس العصابة السابق ثم مد يده في جيبه وأخرج لمؤمن جوهرة لها بريق يأخذ الأبصار:

ـ خذ هذه الماسة يا مؤمن .. إنها حجر ثمين .. لا أعلم مقداره كم يكون .. هدية مني لك .. جزاءك على عفوك عني وأصحابي .. وعلى ما علّمته لنا جميعا.

تمت بحمد الله تعالى